ذكريات ومواقف

مع شيخنا العلامة

محمد بن صالح بن عُثيمين

رحمه الله

بقلم

فيصل بن سكيت السكيت

بسم الله الرحمن الرحيم

تصميم وتنسيق الكتب
المملكة العربية السعودية -الرياض
mohlafi@gmail.com
@moha_lafi
0558880554
انقر على العنوان
للتواصل
محمد لافي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

فهذه بعض المواقف والأخبار المتفرّقة التي حصلت أثناء علاقتي بسماحة شيخنا الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين (ومدّتها ١٥ سنة) ابتداءً من عام ١٤٠٦هـ إلى العام الذي توفّي فيه، وهو عام ١٤٢١هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وسبب العلاقة أني ذهبت للسلام على الشيخ، وكان هذا أول لقاء لي معه، ومن فضل الله عليّ أني لم أجد أحدًا عنده، فقط كنت أنا وصاحبي الذي كان برفقتي، وعندما أردنا

الانصراف من عند الشيخ، سلّمت عليه وقلت كلمة جريئة لا أدري كيف صدرت مني! لكنها كانت -بفضل الله- سببًا لتلك العلاقة القوية، قلت له مباشرة ودون أي مقدمات: يا شيخ، الله لا يحلّك ولا يبيحك إن جئت للرياض ولم تخبرني!

فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا قدِمَ إلى الرياض اتصل عليّ، فكنت أُلازمه ملازمة شبه تامة، طيلة وجوده في الرياض، يزورني في بيتي كثيرًا، ويركب معي في سيارتي، وأذهب معه إلى الدروس، والمحاضرات، واللقاءات، والاجتماعات، والولائم، وعند زياراته لولاة الأمر، وللمشايخ، وللمسؤولين، وغير ذلك.

وهذه المواقف التي سأذكرها، مواقف متناثرة غير مرتّبة، وهي ما بقي في ذهني، وإلا فلو كنت أقيّد المواقف والأخبار في حينها، لاجتمع عندي أكثر من ذلك بكثير. وبالله تعالى التوفيق.

١- حدثني شيخنا الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كنت في مكة وبعد صلاة الفجر وأثناء خروجي من المسجد، خرج معي رجل وبدأ حديثه عن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ونحن نمشي وهو ممسكٌ بيدي، ومن ضمن ما قال: والله لو أن معاوية أخذ بيدي ليذهب بي إلى الجنة لنزعت يدي من يده وتركته! يقول الشيخ: فلما قال هذا الكلام نزعتُ يدي من يده، وذهبت وتركته خلفي.

٢- مرة من المرات، أراد الشيخ الرجوع إلى القصيم بعد انتهاء جلسات هيئة كبار العلماء في الرياض، فقلت له: اسمح لي أن أوصلك

إلى القصيم بسيارتي بدلًا من الطائرة، فوافق، وعندما ركب معي إذا به قد جاء معه بزمزمية (ترمس) شاي، فلما خرجنا من الرياض صب لي كأسًا من الشاي وقال: اشرب لكي لا تنام!

٣- وكان الشيخ حريصًا على استغلال وقته، فحين ركب معي، أخرج شريط كاسيت، ووضعه في مسجّل السيارة، وكان الشريط مشتملًا على درس للشيخ الألباني رحمه الله، فكان الشيخ يستمع إلى هذا الدرس، ويدعو للشيخ الألباني، رحمة الله عليهما.

٤- كان الشيخ إذا ركب معي في سيارتي، وفتحت المسجّل أو المذياع لنستمع إلى كتاب الله، يقول لي: افتح السمّاعات الأمامية فقط، وأغلق السمّاعات الخلفية، لا يريد أن يستدبِر السماعات التي يصدر منها القرآن، وهذا من ورعه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٥- ألقى الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ محاضرة في وزارة الدفاع، وعندما انتهى قال: أين فيصل؟ فقال أحد الإخوان: هذا هو، وأشار إليّ، فقال الشيخ: هذا فيصلنا، أنا أقصد اللواء فيصل بالي، وكان اللواء فيصل بالي وقتها مديراً عامًا لإدارة الشؤون الدينية بالقوات المسلحة.

٦- الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ -حسب علمي- لا يشتهي أكل الرز، وإنما يأكل المرقوق والمطازيز، ومرّة دُعي إلى الغداء عند أحد المشايخ في مدينة الرياض، فلمّا وُضِعَ الغداء وإذا به رز ولحم -كالعادة -، فناداني وهمس في أذني وقال: اتّصل على أم عدنان -يعني زوجة أخيه عبدالرحمن- وقل لها تسوّي (تصنع) لنا غداء: مرقوق، فاتصلت بأم عدنان المرأة الصالحة الكريمة، فأعدّت للشيخ ما أراد.

٧- جئتُ إلى الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بداية مرضه، فقلت له: اسمح لي أن أرقيك، والفضل لك، فقال: الفضل لله ولا مانع لديّ، فصرتُ

آتي إليه فأرقيه الرُقية الشرعية، في البيت، وفي المستشفى، وفي الحرم إذا ذهب إلى مكة، فكان ينام إذا بدأت في الرُقية حتى أسمع غطيطه، فأستمرّ في رُقيتي، فإذا فرغتُ قبّلتُ رأسه وهو نائم، ثم انصرفتُ من عنده.

٨- كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقف مع طلابه في أمورهم ومشكلاتهم، ومرّة من المرّات تعرّض أحد طُلّابه إلى مضايقات في عمله، فاتصل الشيخ بمدير ذلك العمل، فأحاله المدير إلى مسؤول أرفع منه، وأحاله الآخر إلى مسؤول ثالث، فغضب الشيخ لأجل تلميذه، وقال له ليُطمئنه: إن طوّلوها كلّمتُ الملك فهد.

رحمة الله على الجميع.

٩- كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لطيفًا كريم الخُلُق، أتذكّر أنه قدِمَ مرة إلى الرياض فأعدّ له أخوه الشيخ عبدالرحمن وليمة غداء، وكنت من المدعوّين، لكنّي تأخرت فلمّا دخلت إذا بهم قد فرغوا من الغداء ووقفوا عند المغاسل يغسلون أيديهم، فاستحييت من الدخول إلى المقلّط (صالة الطعام) فذهبت إلى المجلس وجلست، وعندما رآني الشيخ أخذ بيدي وأجلسني على سفرة الطعام، وبدأ يُحدّثني ويأكل معي (مع أنه انتهى للتوّ من الطعام). رحمة الله عليه.

١٠- في عام ١٤١٧هـ اتصل عليّ الشيخ الساعة العاشرة صباحًا، وقال لي: هل تريد الحج معنا؟ فقلت: نعم، فكانت أول حجة لي مع الشيخ، وصرتُ أحجّ معه كل عام حتى آخر حجة حجّها الشيخ، وهي عام ١٤٢٠هـ.

١١- حجُّنا مع الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان فيه من الراحة والاطمئنان وانشراح الصدر ما لا يعلمه إلا الله، وقد كنّا نرى آثار السرور والانشراح والبِشْر على وجه الشيخ، وفي آخر حجةٍ له، قال لبعض أصحابه: (ما بعد هذا النعيم إلا الجنة).

١٢- كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يسكن في مِنى في مخيّمٍ للمشايخ والدعاة، وكان يجد بعض الحرجِ في ذلك لكثرة طلّابه ومستفتيه، ويودّ لو كان له مخيّم خاص، فقلت له: كلّم الشيخ عبدالعزيز بن باز، واطلب منه أن يجعل لك مخيّمًا خاصًا، فقال: لا أريد أن أفتح بابًا على الشيخ، أطلب فيطلب غيري من المشايخ، فنُحرج الشيخَ.

ثم إن الشيخ صالح آل الشيخ بعد ذلك (وكان نائب وزير الشؤون الإسلامية) خصّص للشيخ مخيّمًا خاصًا، فارتاح لذلك جدًا.

١٣- عندما كان الشيخ منوّمًا في مستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض، كنت أزوره يوميًا، وعندما عزم على الذهاب إلى مكة في شهر رمضان، قال لي -وهو على فراش المرض-: هل ترغب في الذهاب معنا إلى مكة؟ فقلت: نعم، ومن يفوّت تلك الرحلة مع الشيخ وهو على حالته تلك؟ لا سيّما وأنه لم يخصّ أحدًا غيري من خارج أسرته. فذهبت معهم بالطائرة، حيث جهّزت الحكومة طائرتين للشيخ لرحلته: طائرة إخلاء طبّي للشيخ، وطائرة ركّاب خاصة لمن معه، وكنت ممن ركب في الطائرة الخاصة.

١٤- وفي تلك الرحلة أُعِدّ للشيخ سكنٌ داخل المسجد الحرام، مجهزٌ تجهيزًا كاملًا، وكان الشيخ يُلقي دروسه وهو في غرفته داخل المسجد الحرام، والصوت يصل إلى الناس عبر المكبّرات، واستمر الشيخ إلى آخر رمضان يُلقي الدروس على تلك الحال، ثم توفّي بعد رمضان بأسبوعين، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٥- زرت الشيخ في المستشفى التخصصي، فلما رأيته ورأيت ما أصابه من المرض رقَّ قلبي وحزنت، وعندما سلمت عليه لأودّعه قبّلتُ يده، فقال لي: لا تَعُدْ إلى ذلك، يعني إلى تقبيل اليد.

١٦- ألقى الشيخ محاضرة في أحد المساجد، وعندما أراد الخروج اجتمع عليه الناس بكثرة، فذهبتُ وأحضرتُ له حذاءه ووضعتُه عند قدميه، فلم يلبسه حتى سأل: من أحضره؟ فقلت أنا، فشعرتُ أن ذلك لم يعجبه (تواضعًا منه) فلم أفعله مرّة أخرى.

١٧- قلت للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا شيخ، تغيير الشيب سُنّة، فلماذا لا تُغيّره؟ فقال: كلامك صحيح، ولكن الصبغ يحتاج إلى وقت، ووقتي ضيّق ومزدحم جدًا.

١٨- كان الشيخ يُعاملنا بأدب واحترام، أذكر أننا ذهبنا معه مرّةً إلى الديوان الملكي لمقابلة الملك عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان وقتها وليًا للعهد. فدخلنا الديوان مع الشيخ وجلسنا في مجلس للانتظار، ثم فُتِح باب مكتب ولي العهد ليدخل الشيخ، فقام الشيخ وقال لنا: بعد إذنكم، سأدخل. وكانت هذه عادته مع أصحابه: أن يُعاملهم معاملة راقيةً محترمة.

١٩- كان الشيخ يحب الجديد من الأجهزة الإلكترونية، فطلب مني أن أذهب به إلى محلٍ معروف، عنده أجهزة إلكترونية، وكنّا مبكّرين في الصباح، فقال الشيخ أخشى أننا بكّرنا وأنّهم لم يفتحوا المحل بعد. فقلت:

لا تخف عليهم، هذولا يقومون مع العصافير، فضحك الشيخ وقال: قل: ما شاء الله.

٢٠- في يوم من الأيّام دعوت الشيخ على الفطور ودعوت مجموعة من طلبة العلم، وعندما جئت لآخذه من سكنه إلى بيتي، وجدت الأخ جمعان الزهراني مدير الشئون الدينية بالقاعدة الجوية ينتظر الشيخ ليأخذه إلى منزل الأخ الطيار عبدالله الجوفي، فلما رأيته سكتُّ وقلت في نفسي: سأترك الشيخ ليفصل في الموضوع بنفسه، ولم أتكلم بكلمة واحدة، وكان الإخوان ينتظرون الشيخ في منزلي، فقال الشيخ للأخ جمعان: اليوم موعد فيصل، وأنتم موعدكم غدًا. فأُسقِط في يد الأخ

جمعان، وطلب مني أن أسمح له، فقلت له: أنا مثلك، الضيوف في منزلي ينتظرون الشيخ. ثم رأيت أن أسمح لهم بأن يكون الشيخ معهم بشرط أن يعوّضني من اليوم التالي، فوافق الشيخ وتفضّل عليّ فذهب معي إلى منزلي ودخل واعتذر من الإخوان الحاضرين، وذكر لهم أنه سيكون معهم غدًا، فكان من حظي وحظ الإخوان أن رأينا الشيخ مرتين في يومين متتابعين.

٢١- كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُحب أصحابه ويمازحهم، ذهبنا مرّةً معه إلى محاضرة، أنا والشيخ خالد الشريمي، ولما خرجنا من المحاضرة، وأردنا أن نضع الشيخ، قال لنا

الشيخ: تفضّلوا على العشاء معنا، فاعتذرنا، فأمسك الشيخ بيد الشيخ خالد الشريمي، وقال لأخيه عبدالرحمن: أنت أمسك يد فيصل، فأمسك بي، وأدخلانا البيت بالقوة، وتعشّينا مع الشيخ وأقاربه.

٢٢- أثناء عملي برئاسة الهيئات، حصلتُ على ترقية وظيفية، فاتصلت على الشيخ وبشّرته، فقال: ما شاء الله، الحمد لله، جهّز الذبيحة.

٢٣- هذا الموقف أخبرني به الشيخ وهو يضحك، يقول: كانت إحدى حفيداتي معها نفّيخة (بالون) فجاءت عندي وأخذت تلعب بها، فأزعجتني، فأخذتها منها، فبكت وقالت: أعطني نفّيختي، فقلت: ماذا تريدين بها؟ قالت: أبغى أحبّها. فضحكتُ منها وأعطيتُها.

٢٤- الشيخ رحمه الله سمح كريم، مرّة من المرّات ركب معي في السيارة وقت الظهر، فقلت له: هذا وقت خروج ابنتي من المدرسة، استأذنك في أن نمرّ عليها. فمررنا المدرسة وأخذنا البُنيّة، فلما ركبتْ قلت للشيخ: هذه بنتي (نوف) تدرس في أولى ابتدائي، وتحفظ جزء عمّ، فقال الشيخ: اقرأي سورة الأعلى،

فقرأتها كاملة، فقال الشيخ: ما شاء الله، ولا غلطة!

٢٥- رُزقتُ ببنت، فاتصلتُ بالشيخ وأخبرتُه، فدعا لها بدعوات صالحات، ثم قلت له: نريد منك أن تسمّيها، فقال: سمّها فاطمة (على اسم فاطمة بنت النبي ﷺ) فقلت: نريد اسمًا حديثًا مناسبًا لأسماء أخواتها، فقال: سمّها لمى، فسمّيتُها لمى.

٢٦- قال لي الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: زرتُ شيخي الشيخ عبدالرحمن بن سعدي بعد عودته من رحلته العلاجية في لبنان، فلما جلست عنده أخرج من

جيبه تفاحة وأعطانيها، وقال هذا هو التفاح! وكنّا في ذلك الوقت نسمع بالتفاح، ولكننا لا نعرفه!

٢٧- الأمير عبدالعزيز بن فهد بن عبدالعزيز وفقه الله، كان من أبرّ الناس بالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كان يزوره، ويحرص على خدمته، ويتصل عليه للسؤال عن حاله، ولاستشارته، واستفتائه، وزاد حرصه عندما مرض الشيخ، فأخذ يترجّاه في الذهاب إلى أمريكا للعلاج، فلما وافق الشيخ بعد الإلحاح، تابع أمره وأعطاه طائرة خاصة، واهتمّ به غاية الاهتمام، وعندما عاد الشيخ من أمريكا بعدما أُخبِر أنه لا فائدة من العلاج وأن المرض في مراحله الأخيرة، زاد

حرص الأمير عليه، وصار يُتابع وضعه مع المستشفى التخصصي، فجزاه الله خيرًا.

٢٨- ذهبت أنا والشيخ إلى محل ليشتري أغراضًا لبيته، فبدأ الشيخ يجمع الأغراض التي يريد شراءها، ثم سمع صوت خلاف بين اثنين، فإذا صاحب المحل يتخاصم مع العامل الذي عنده، فترك الشيخ حاجاته وتوجّه إليهم، وبدأ يفك الاشتباك، وكأني أنظر إليه الآن وهو يدفع صاحب المحل عن العامل وينصحه ويزجره.

٢٩- حضرت مع الشيخ طعام غداء، وكان من ضمن الحاضرين داعية أمريكي، وكان فرِحًا بوجوده مع الشيخ، فأخذ يسأل الشيخ أسئلة كثيرة والشيخ يُجيب، ولمّا جلسنا على طعام الغداء استمر يسأل والشيخ يجيب، فلمّا أكثر من الأسئلة أشار إليه الشيخ وهو يبتسم وقال بالإشارة: كُل (ووضع أصابعه على فمه) فسكت الداعية، وخشيتُ أنه غضِب، فقلت للشيخ بعد ذلك: لو اتصلت عليه بالهاتف تطييبًا لخاطره، فاستحسن الشيخ هذا الاقتراح.

وبعد أيام سألتُ الشيخ: هل كلمت الداعية الأمريكي؟ فقال وهو يضحك: نعم كلّمته،

وبغى (كاد) يطلع عليّ من سمّاعة الهاتف من الفرحة.

٣٠- ذهبنا إلى الشيخ ابن باز بعد صلاة العِشاء، وكان هناك موضوع مهم تباحث فيه الشيخان وأنا حاضر، وبعد انتهاء الاجتماع أردنا الانصراف فقال الشيخ ابن باز: تعشّوا معنا. فدخلنا إلى العشاء، وكان عشاءً متواضعًا (خبز ومرق) فتعشينا، وكنت في غاية السعادة، حيث لم يكن مع الشيخين إلا أنا.

٣١- وعندما خرجنا من بيت الشيخ ابن باز، مررنا على مكتبة «دار المنهاج للنشر والتوزيع

بالرياض» فلما رآنا صاحبها أخونا الشيخ عبدالله بن محمد السنان، فرِح جدًا ورحّب بالشيخ محمد، وأهدى إليه مخطوطة، وبعد مدّة أرسل إليه الشيخ هدية وهي مصحف مخطوط، اقتداءً بهدي النبي ﷺ فقد كان يَقْبل الهدية ويُثيب عليها.

٣٢- أحد خطباء الحرمين، استسقى في خطبة الجمعة (وكان ذلك في فصل الصيف) وقال: اللهم أغِثنا، اللهم أغِثنا، والمطر -كما هو معلوم- في فصل الصيف يضر أهل النخيل. فجاء بعض أهل النخيل إلى الشيخ يشتكون ويقولون: انصحه يا شيخ، وأظن الشيخ كان يرى أنهم كانوا محقّين في شكواهم.

٣٣- جاء الشيخ إلى الرياض في إحدى زيارته، وفي أثناء وجوده فيها ذهب لإلقاء محاضرة في الخرج (وبينها وبين الرياض ساعة) وزار الأمير عبدالله الفيصل الفرحان، فقلت له: أنت مشغول ووقتك ضيّق جدًا فلماذا تذهب لهذا المشوار الطويل؟ فقال: هذا الرجل كان أميرًا للقصيم (يعني الأمير عبدالله الفيصل الفرحان) وكان له فضلٌ -بعد فضل الله- على شيخنا ابن سعدي، فأنا أزوره لأجل ذلك. وذكر لي الشيخ قصّة طويلة حصلت بين الأمير وبين الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣٤- الشيخ كان يحب الطيب، فكان يطلب مني أن أذهب معه إلى الديرة (وسط مدينة

الرياض) ليشتري الطيب بنفسه، وكان يحب رَحِمَهُ ٱللَّهُ العنبر.

٣٥- ذهب الشيخ إلى الديوان الملكي -في يوم استقبال الملك للمشايخ- ورأيناه في نشرة الأخبار وهو يُسلّم على الملك فهد، وعندما سلّم عليه همس الملك فهد في أذنه فضحك الشيخ، فسألت الشيخ بعد ذلك عن سبب ضحكته، فقال: الملك فهد شافني نشيط وقال: أنت يا شيخ محمد تحتاج بنيّة حلال! يعني زوجة ثانية.

تمت